ف

قصة: سمر الوكي

رسوم: شروق بشناق

يَوْمَ فَقَدَتْ قِطَّتي عَقْلَها!



تَمَّ تَقْديمُ هَذا الْعَمَلِ لَكُمْ بِدَعْمٍ مِنْ

Australian Aid

World Vision

USAID
FROM THE AMERICAN PEOPLE

ALL CHILDREN READING:
A GRAND CHALLENGE FOR DEVELOPMENT



سَأَحْكي لَكُمْ حِكايَةً يا أَصْدِقائي: كانَ يَوْمي أَمْسِ في الْمَدْرَسَةِ مُرْهِقًا جِدًّا.
يَحْدُثُ ذلِكَ أَحْيانًا، وَلا رَيْبَ أَنَّكُمْ تَرَوْنَ أَيّامًا مِثْلَهُ بَيْنَ فَيْنَةٍ وَأُخْرى.
عُدْتُ إِلى مَنْزِلي مُتْعَبًا وَمُشْتاقًا لِرُؤْيَةِ قِطَّتي مِشْمِشَةَ.
وَلكِنّي لَمْ أَتَوَقَّعْ أَبَدًا ما كانَ بِانْتِظاري!



فَأَنا لَمْ أَجِدْ قِطَّتي! بَحَثْتُ عَنْها في كُلِّ الْأَماكِنِ الَّتي قَدْ تَخْطُرُ بِبالِكُمْ؛
بَحَثْتُ هُنا، وَبَحَثْتُ هُناكَ، لكِنْ بِلا فائِدَةٍ. تُرى أَخَرَجَتْ مِنَ النّافِذَةِ؟
لكِنَّ النّافِذَةَ كانَتْ مُغْلَقَةً! أَخْتَطَفَها لُصوصٌ؟!



كُنْتُ عَلى وَشْكِ الِاتِّصالِ بِالشُّرْطَةِ؛
لِتُساعِدَني في الْبَحْثِ عَنْ قِطَّتي. وَفَجْأَةً...

اقْتَرَبَ مِنّي صُنْدوقٌ! كانَ يَدْفَعُ نَفْسَهُ نَحْويَ دَفْعًا.
صَرَخْتُ: "مَنْ يُحَرِّكُ هذا الصُّنْدوقَ؟"،
وَمِنَ الدّاخِلِ سَمِعْتُهُ؛ سَمِعْتُ مُواءَ قِطَّتي الْحَبيبَةِ!



جَرَيْتُ إِلى الصُّنْدوقِ أَفْتَحُهُ وَأَنا أَصيحُ: "قِطَّتي مِشْمِشَةُ الْحَبيبَةُ، أَخيراً وَجَدْتُكِ!".
لكِنَّ مِشْمِشَةَ لَمْ تُحَيِّني بِطَريقَتِها الْمُعْتادَةِ، بَلْ رَدَّتْ في غُموضٍ: "مَنْ مِشْمِشَةُ هذِهِ؟!
أَنا لَسْتُ مِشْمِشَةَ، بَلْ أَنا قِطَّةُ (اشْرودِنْجَرْ)". ماذا؟ لَمْ أَفْهَمْ شَيْئًا مِمّا قالَتْهُ!



قُلْتُ لَها: "بَلْ أَنْتِ مِشْمِشَةُ، قِطَّتِيَ الْحَبيبَةُ! صَديقَتي الصَّغيرةُ ذاتُ الْفِراءِ الْمِشْمِشيِّ. أَلا تَذْكُرينَ؟". فَنَظَرَتْ إِليَّ وَهَزَّتْ رَأْسَها الصَّغيرَ بِالنَّفْيِ.





أَعْتَرِفُ لَكُمْ يا أَصْدِقائي أَنِّي كُنْتُ عَلى وَشْكِ الْبُكاءِ
لَقَدْ فَقَدَتْ قِطَّتي عَقْلَها تَمامًا
لكِنَّ مِشْمِشَةَ لَمْ تَكُنْ قَدِ انْتَهَتْ مِنْ إِفْزاعي بَعْدُ
فَقالَتْ: "يَبْدوأَنَّكَ لَمْ تَفْهَمْ! أَنا قِطَّةُ (اشْرودِنْجَرْ)،
وَأَنا حَيَّةٌ وَمَيْتَةٌ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ!".
وَأَشارَتْ بِمَخالِبِها الصَّغيرَةِ وَأَكْمَلَتْ: "تَعالَ!".



فَتَحَتْ مِشْمِشَةُ صُنْدوقَها حَتّى تُرِيَني ما بِداخِلِهِ،
وَشَرَحَتْ لي كَيْفَ أَنَّ بِهذا الصُّنْدوقِ نِظامَ عَمَلٍ دَقيقًا،
وَزُجاجَةً بِها سُمٌّ! ثُمَّ أَكْمَلَتْ شَرْحَها بِفَخْرٍ:
"إِذا عَمِلَ الْجِهازُ وَانْكَسَرَتِ الزُّجاجَةُ سَأَموتُ فَوْرًا.
أَمّا إِذا بَقِيَتْ كَما هِيَ فَسَأَظَلُّ حَيَّةً!".

دَخَلَتْ مِشْمِشَةُ في الصُّنْدوقِ وَأَغْلَقَتْهُ عَلى نَفْسِها،
وَجاءَ صَوْتُها مِنَ الدّاخِلِ يَقولُ: "أَرَأَيْتَ؟ أَأَنا حَيَّةٌ أَمْ مَيْتَةٌ؟
لَنْ تَعْرِفَ الْإِجابَةَ أَبَدًا، لِذلِكَ أَنا الِاثْنانِ مَعًا!". فَأَجَبْتُ مُغْتاظًا:
"أَنْتِ حَيَّةٌ؛ وَإِلّا فَكَيْفَ تَتَكَلَّمينَ؟!"، فَخَرَجَ صَوْتُها وَقَدِ احْتَدَّ:
"آهٍ! لَنْ أَتَكَلَّمَ! وَلْتُخْبِرْني عِنْدَها كَيْفَ سَتَعْرِفُ إِذا كُنْتُ حَيَّةً،
أَمْ مَيْتَةً أَيُّها الذَّكِيُّ!".



أَطْبَقَ الصَّمْتُ حَتّى صِرْتُ لا أَسْمَعُ سِوى صَوْتِ أَنْفاسي.
وَبَعْدَ مُرورِ بَعْضِ الْوَقْتِ بَدَأَ يُراوِدُني الْقَلَقُ؛ تُرى هَلْ هذا السُّمُّ حَقيقِيٌّ؟!
وَهَلْ لَدَيْها ما يَكْفي مِنَ الْهَواءِ في الصُّنْدوقِ؟ وَماذا لَوْ أَصابَها مَكْروهٌ؟
لَمْ أُطِقِ انْتِظارًا، فَقُلْتُ بِرِفْقٍ: "مِشْمِشَةُ! مَشْموشي! هَلْ أَنْتِ بِخَيْرٍ؟".
لَمْ تَرُدَّ، بَلْ سادَ صَمْتٌ مَهيبٌ. هُنا قَرَّرْتُ أَنْ أُجارِيَها،
حَتّى يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ عَلى خَيْرٍ، فَأَعَدْتُ سُؤالي: "آ... يا قِطَّةَ (فْلوزَنْدَرْ)؟
هَلْ أَنْتِ حَيَّةٌ؟".





وَهُنا صاحَتْ مِشْمِشَةُ: "(اشْرودِنْجَرُ)!
أَلَمْ تَدْرُسْ أَيَّ شَيْءٍ في الْمَدْرَسَةِ؟". ضَحِكْتُ،
وَحَمَدْتُ اللهَ أَنَّها بِخَيْرٍ، لكِنَّ ضَحِكي لَمْ يُعْجِبْ مِشْمِشَةَ،
الَّتي أَطَلَّتْ بِرَأْسِها الصَّغيرِ مُجَدَّدًا، وَقَدْ قَطَّبَتْ حاجِبَيْها،
وَقالَتْ: "لا بُدَّ أَنَّكَ دَرَسْتَ نَظَرِيَّةَ قِطَّةِ (اشْرودِنْجَرَ) في
الْمَدْرَسَةِ، حاوِلْ أَنْ تَتَذَكَّرَ". حاوَلْتُ أَنْ أَتَذَكَّرَ،
لكِنْ دونَ جَدْوًى. أَرْدَفْتُ بِخَجَلٍ: "لا أَعْرِفُ عَنْها شَيْئًا".

هَبَّتْ مِشْمِشَةُ قافِزَةً، وَقالَتْ: "اُنْظُرْ مَعي إِلى هذِا الصُّنْدوقِ الصَّغيرِ، إِنَّ بِهِ مادَّةً مُشِعَّةً، فَإِذا أَطْلَقَتِ الْمادَّةُ جُسَيْمًا، سَيَعْمَلُ الْجِهازُ، وَتَنْكَسِرُ الزُّجاجَةُ، وَأَموتُ فَوْرًا. أَمّا إِذا بَقِيَتْ كَما هِيَ، فَسَأَظَلُّ حَيَّةً".



ثُمَّ بَدَأَتْ تُصَفِّفُ فِراءَها بِلِسانِها، وَتابَعَتْ: "وَلِأَنَّ أَحَدًا لا يُشاهِدُ ما يَجْري في الصُّنْدوقِ، سَأَكونُ حَيَّةً وَمَيْتَةً في الْوَقْتِ نَفْسِهِ".

ما الَّذي تَقولُهُ هذِهِ الْقِطَّةُ الْمِسْكينَةُ؟ أَخْبَرْتُها أَنَّي إِذا كُنْتُ نائِمًا في فِراشي، فَأَنا نائِمٌ في فِراشي، وَلا يُهِمُّني إِذا فَتَحَ أَحَدُهُمْ بابَ الْغُرْفَةِ أَوْ لَمْ يَفْتَحْ.





ضَحِكَتْ مِشْمِشَةُ وَهَزَّتْ رَأْسَها كَأَنَّها تُخاطِبُ طِفْلًا صَغيرًا، وَقالَتْ:
"ما تَقولُهُ صَوابٌ في الْأَشْياءِ الْكَبيرَةِ، فَما يَحْدُثُ مَعَها لا يَتَأَثَّرُ بِالْمُراقَبَةِ.
لكِنْ عَلى مُسْتوى الْأَشْياءِ الدَّقيقَةِ كَالذَّرّاتِ، تُطَبَّقُ قَواعِدُ خاصَّةٌ،
مِثْلُ فيزْياءِ الْكَمِّ". حاوَلْتُ أَنْ أَفْهَمَ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَقولَ شَيْئًا ذَكِيًّا،
لكِنْ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ فَمي سِوى: "آ، آ، آ...أَها؟!". ضَيَّقَتْ مِشْمِشَةُ عَيْنَيْها،
فَعَرَفْتُ بِأَنَّ صَبْرَها بَدَأَ يَنْفَدُ.

اِسْتَجْمَعْتُ قُوايَ الْعَقْلِيَّةَ لِأَفْهَمَ؛ فَأَنا وَلَدٌ كَبيرٌ، وَهِيَ مُجَرَّدُ قِطَّةٍ صَغيرَةٍ فَقَدَتْ عَقْلَها، وَعَلَيَّ أَنْ أُنْقِذَها. طَلَبْتُ مِنْها أَنْ تُكَرِّرَ شَرْحَها لي، فَفَعَلَتْ. ثُمَّ قالَتْ: "وَحْدَها الْمُلاحَظَةُ سَتَحْسِمُ نَتيجَةَ التَّجْرِبَةِ! هَلْ فَهِمْتَ الْآنَ؟".



قُلْتُ في حَماسٍ: "نَعَمْ، فَهِمْتُ يا (قِطَّةَ اشْرودِنْجَرَ)! ما رَأْيُكِ أَنْ أَقومَ أَنا بِالْمُلاحَظَةِ حَتّى نَعْرِفَ إِذا كُنْتِ حَيَّةً أَمْ مَيْتَةً؟".

اِعْتَرَضَتْ مِشْمِشَةُ بِشِدَّةٍ، فَقَدْ كانَتْ سَعيدَةً بِحالَتِها الْمُرَكَّبَةِ تِلْكَ، وَوَدَّتْ لَوْ تَظَلُّ كَذلِكَ إِلى الْأَبَدِ.

لكِنّي أَرَدْتُ عَوْدَةَ قِطَّتي، وَأَرَدْتُ الْعَوْدَةَ لِمُمارَسَةِ حَياتِيَ الطَّبيعِيَّةِ، أَيْ أَنَّني كُنْتُ حَقًّا في مَأْزِقٍ!

لكِنِ اطْمَئِنّوا، فَبِفَضْلِ مَهارَتي الْإِقْناعِيَّةِ، وافَقَتْ مِشْمِشَةُ عَلى التَّجْرِبَةِ عَلى مَضَضٍ.





دَخَلَتْ مِشْمِشَةَ إلى الصُّنْدوقِ وَأَغْلَقَتْهُ.
اِنْتَظَرْتُ بِضْعَ دَقائِق، ثُمَّ جاءَتِ اللَّحْظَةُ الْحاسِمَةُ
أَتَظُنّونَ أَنَّ قِطَّتي مِشْمِشَةَ سَتَعودُ إِلَيَّ؟
تَمَنَّيْتُ ذلِكَ مِنْ كُلِّ قَلْبي. فَتَحْتُ الصُّنْدوقَ بِحَرَكَةٍ سَريعَةٍ
فَوَجَدْتُها، وَيا لَيْتَكُمْ تَعْرِفونَ كَيْفَ وَجَدْتُها!



كانَتْ تَنْظُرُ إِلَيَّ؛ صَرَخْتُ دونَ تَفْكيرٍ: "قِطَّةَ (اشْرودِنْجَرْ)! أَنْتِ حَيَّةٌ! يا لَها مِنْ مُعْجِزَةٍ!". قَفَزَتْ إِلى حِضْني قِطَّةُ (اشْرودِنْجَرَ)، بَلْ مِشْمِشَةُ، فَهَرَبَتْ مِنْ عَيْنِيَ دَمْعَةُ فَرَحٍ،
آ...لِأُجارِيَ قِطَّتي كَما تَعْلَمونَ.

ثُمَّ جَلَسْتُ صامِتًا أَنْظُرُ إِلَيْها وَأَنْتَظِرُ لِأَرى
إِنْ كانَتْ مِشْمِشَةَ أَمْ قِطَّةَ (اشْرودِنْجَرَ).

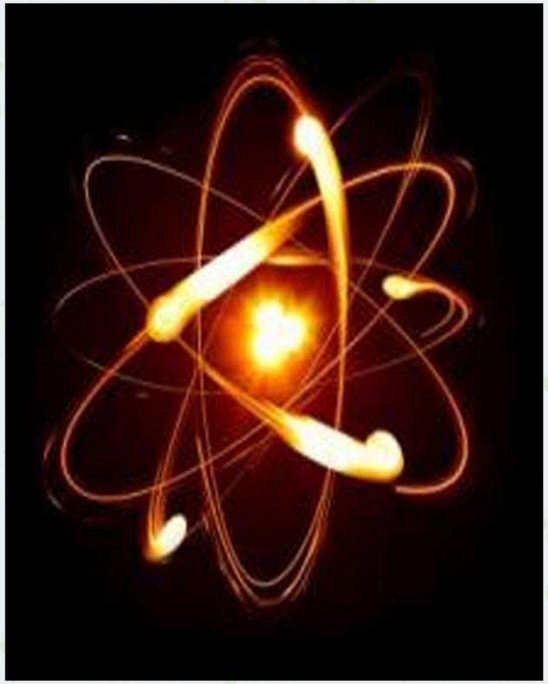


قالَتْ مِشْمِشَةُ: "حَسَنًا، أَلَنْ نَلْعَبَ مَعًا يا رامي؟
وَأَيْنَ طَعامي؟". قَفَزْتُ فَرَحًا؛ لَقَدْ عادَتْ إِلَيَّ مِشْمِشَتي.
أَطْعَمْتُها ثُمَّ رَكَضْتُ مَعَها نَلْعَبُ وَنَمْرَحُ حَتّى حَلَّ الْمَساءُ،
ثُمَّ نِمْنا، وَعَلى وَجْهَيْنا أَعْرَضُ ابْتِسامَتَيْنِ.
وَهكَذا يا أَصْدِقائي اسْتَعَدْتُ صَديقَتي الْحَبيبَةَ مِشْمِشَةَ.




"أَيْنَ صُنْدوقي؟
أَنا قِطَّةُ (اشْرودِنْجَرَ)!".

الْعالِمُ (إروين شرودنجر): هُوَ عالِمُ فيزْياءٍ نِمْساوِيٌّ ، وُلِدَ في عامِ سَبْعَةٍ وَثَمانينَ وَثَمانِمِئَةٍ وَأَلْفٍ لِلْميلادِ. لَهُ الْعَديدُ مِنَ الْإِسْهاماتِ في فيزْياءِ الْكَمِّ.حازَ عَلى جائِزَةِ (نوبِل) عَنْ مُعادَلَةِ (شرودنجر).





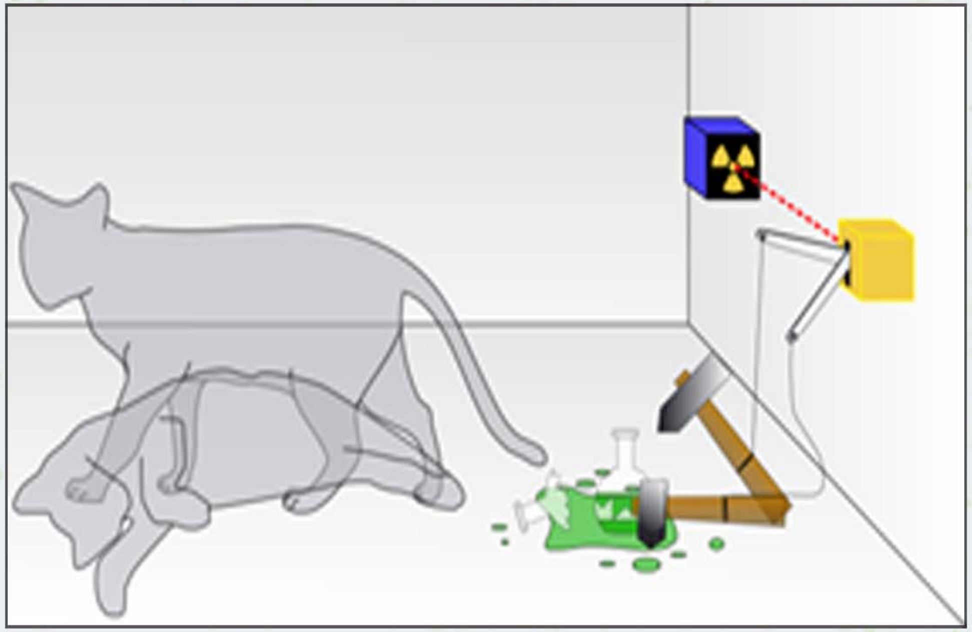
ما هِيَ فيزْياءُ الْكَمِّ؟

هُوَ فَرْعٌ مِنَ الْفيزْياءِ يُعْنى بِمُحاوَلَةِ تَفْسيرِ وَقِياسِ سُلوكِ الْجُسَيْماتِ الدَّقيقَةِ جِدًّا كَالذَّرّاتِ وَما هُوَ أَصْغَرُ. وَاكْتَشَفَ الْعُلَماءُ أَنَّ هذِهِ الْجُسَيْماتِ طَبيعَتُها جُسَيْماتٌ وَمَوْجاتُ طاقَةٍ في نَفْسِ الْوَقْتِ. أَيْ أَنَّها تَتَصَرَّفُ في بَعْضِ الْأَحْيانِ كَمَوْجَةٍ وَفي بَعْضِها الآخَرِ كَجُسَيْمٍ.

ماذا يَحْدُثُ عِنْدَ الْقِياسِ عَلى مُسْتَوى الذَّرّاتِ؟

إِنَّ أَجْهِزَةَ الْقِياسِ وَالرَّصْدِ الدَّقيقَةَ تُؤَثِّرُ في نَتيجَةِ ما تَرْصُدُهُ وَتُثَبِّتُهُ عِنْدَ حالَةٍ واحِدَةٍ، عَلى مُسْتَوى الْجُسَيْماتِ، أَيْ تُغَيِّرُ النَّتيجَةَ أَوْ جُزْءًا مِنْها دونَ أَنْ نَشْعُرَ.

تَجْرِبَةُ قِطَّةِ (شرودنجر):



إِنَّها تَجْرِبَةٌ ذِهْنِيَّةٌ تَمَّ فيها حَبْسُ قِطَّةٍ داخِلَ صُنْدوقٍ مُزَوَّدٍ بِغِطاءٍ، وَكانَ مَعَ الْقِطَّةِ عَدّادُ (غايغر) يَقيسُ الْإِشْعاعَ وَكَمِّيَّةً ضَئيلَةً مِنْ مادَّةٍ مُشِعَّةٍ.

بِحَيْثُ يَكونُ احْتِمالُ تَحَلُّلِ ذَرَّةٍ واحِدَةٍ خِلالَ ساعَةٍ مُمْكِنًا. إِذا تَحَلَّلَتِ الذَّرَّةُ فَإِنَّ عَدّادَ (غايغر) سَوْفَ يَتَحَرَّكُ وَيُحَرِّكُ مِطْرَقَةً تَكْسِرُ بِدَوْرِها زُجاجَةً تَحْتَوي عَلى حامِضِ الْهِدْروسيانيكِ الَّذي يَسيلُ وَيَقْتُلُ الْقِطَّةَ فَوْرًا. وَالآنَ يَقِفُ الْمُشاهِدُ أَمامَ الصُّنْدوقِ الْمُغْلَقِ وَيُريدُ مَعْرِفَةَ، هَلِ الْقِطَّةُ حَيَّةٌ أَمْ مَيْتَةٌ ؟ (مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِ ميكانيكا الْكَمِّ، توجَدُ الْقِطَّةُ بَعْدَ مُرورِ السّاعَةِ في حالَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنَ الْحَياةِ وَالْمَوْتِ). وَعِنْدَما يَفْتَحُ الْمُشاهِدُ الصُّنْدوقَ يَرى الْقِطَّةَ إِمّا مَيْتَةً أَوْ حَيَّةً وَتَثْبُتُ حالَتُها. وَهذا هُوَ ما نَتَوَقَّعُهُ في حَياتِنا الْيَوْمِيَّةِ، وَلا نَعْرِفُ حالَةَ تَراكُبٍ بَيْنَ الْحَياةِ وَالْمَوْتِ.


النِّهايَةُ